نفي الشأن في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)

د.تغريد عبد العزيز سعد المبارك

المقدمة :

أهمية دراسة الموضوع :

يجيئ الكلام في اللغة العربية على خلاف مقتضى الظاهر؛لاعتبارات وأسباب تقتضيها مقامات متعددة، ونفي الشأن باب أصيل في خروج الكلام على خلاف مقتضاه الظاهر، ورد في القرآن الكريم بأحوال مختلفة وأغراض بلاغية متعددة تستدعي تسليط الضوء عليها ودراستها ؛ لما لهذا التعبير من أثر في الاستدلال على المعنى، وفي الفقه بالأحكام الشرعية الواردة بالنفي الظاهر الذي باطنه النهي، ولما له من قيمة تعبيرية كامنة خلف تركيبه ،هذه القيمة التعبيرية تحتاج إلى إبراز وكشف ؛وهذا كله يحقق جانبا من جوانب الحفاظ على هوية اللغة العربية وتأصيلها في النفوس ،ويسهم من طريق آخر في تعزيز جانب من جوانب الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

أهداف دراسة الموضوع :

١- الكشف عن سر من أسرار احتلال القرآن الكريم المرتبة العليا في التأليف والأداء والتأثير .

٢- معرفة الأغراض البلاغية والسياقات التي يرد فيها نفي الشأن في القرآن الكريم .

٣- إبراز القيمة المعنوية التعبيرية الكامنة خلف مجيئ نفي الشأن في خطاب مخصوص .

٤- معرفة مدى تناسب الخطاب بنفي الشأن في سياق الآية وسياق السورة .

٥- معرفة منهج القرآن الكريم في خطابه بنفي الشأن في مقام دون آخر .

خطة البحث : تدور الدراسة حول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تأصيل مفهوم الشأن . ويشمل: معنى الشأن في القرآن وفي الحديث وفي اللغة.

المطلب الثاني : علاقة نفي الشأن بالنفي والنهي . ويشمل :نماذج من القرآن تبين الفرق بين مقامات مجيئ نفي الشأن ومقامات مجيء النفي .ونماذج تبين كيف خرج نفي الشأن إلى تحقيق معنى النهي .

المطلب الثالث : بلاغة نفي الشأن في القرآن الكريم (مقاماته وسياقاته). ويشمل :نماذج تبين الأغراض المختلفة التي حققها مجيئ نفي الشأن في المعنى، وتبين المقامات والسياقات الوارد فيها، ومدى تناسب نفي الشأن مع سياق الآية من جهة، ومع السورة الوارد فيها من جهة أخرى .

منهج البحث :

تقوم الدراسة على المنج البلاغي البياني الذي يقوم على التفصيل والتحصيل ،فيسلط الضوء على موضع مجيء أسلوب نفي الشأن في الآية ويبين صلته بسياقه المقامي والخطابي ؛فيصف الظاهرة ويحلل مكوناتها ومكنوناتها ،ويستنبط الحقائق الكلية الضابطة للجزئيات مع التعليل الموضوعي .

المطلب الأول/ تأصيل مفهوم الشأن :

نفي الشأن من محاسن الكلام ،وينبني على فهمه معانٍ عظيمة ؛خاصة ما ورد منه في كتاب اللّه الكريم ،وهذه المعاني تعزز الفهم ،وتعمق الفِكَر ،وتبين أقدار الخطاب والمخاطبين.

الشأن في القرآن الكريم :

لفظ (الشأن) ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم(١) وجاء تفسيره في الآيات كلها بمعنى:الأمر. وسياق الآيات يبين أنه أمر عظيم ذي بال. (٢)

وأدل دليل على عظمة الشأن إسناده للّه تعالى حين قال عن نفسه :﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ

يَوْم هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿الرحمن (٢٩) ،فجاء عنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ :من شأنه أن يغفر ذنباً ،ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ،ويضع آخرين.» (٣) وغفران الذنوب،وتفريج الكروب ورفع ووضع أقدار أقوام لا يقدر عليها منفردة أو مجتمعة إلا عظيم .

ويستفاد من المعنى القرآني أن الشأن هو: الأمر الجلل، والخطب العظيم ، فهو وصف عظيم لحال موصوف عظيم،والصفة يلزم أن تليق بالموصوف جلالا وقدرا ، فأفعاله تعالى عظيمة تنم عن عظمة فاعلها مع هوانها عليه سبحانه .

الشأن في الحديث الشريف :

جاء عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم – في حديث الملاعنة :» لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن .» (٤) أي : « لولا ما سبق من حكم الله – أي أن اللعان يدفع الحد عن المرأة -لأقمت عليها الحد من أجل الشبه الظاهر الذي رُميتْ به .» (٥) والمعنى من حديث الملاعنة يبيّن عظمة معنى الشأن أيضاً ، فإقامة الحدّ أمر عظيم لا يستهان به، ولولا ما نفد من حكم الله ؛لأقام المصطفى الكريم الحدّ على المرأة ،ذلك الحدّ سمّاه المصطفى شأنا .

الشأن في اللغة :

معنى لفظ (الشأن) عند الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) والأزهري (ت ٣٧٠هـ) : الخطب. (٦)وعند الجوهري (ت٣٩٣هـ) : الأمر والحال، يقال: لأشأنّن أي :لأفسدن أمرهم . (٧) وعند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : « أصل واحد يدل على ابتغاء وطلب، من ذلك قول العرب : شأَنتُ شَأنَهُ أي :قصدتُ قصده . «(٨)

هذه المعاني المستفادة من المعاجم تصب في نفس معين ما جاء به القرآن والحديث من المعنى ،فالشأن الأمر الخطب والجلل كما بان من تفسير اللغويين .

وذكر الزركشي(ت ٧٩٤هـ) نفي الشأن كصورة من صور إخراج الكلام المطلق في صورة المقيد، فقال عن قوله تعالى:﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴿ الأعراف٨٩ »، فالمعنى :لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله ، لما كان معلوما أن يشاؤه ، إذ يستحيل ذلك على الأنبياء ،وكل أمر قد عُلّق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه . « (٩) ويؤخذ منه أن النفي بطريق الكون المسبوق بنفي،هو نفي مبالغ فيه ،وكل أمر جاء نفي الشأن ليدل في معناه على النفي ؛فقد دل على الاستحالة والبعد الشديدين .

المطلب الثاني /علاقة نفي الشأن بالنفي والنهي:

أولا : علاقة نفي الشأن بالنفي :

النفي أسلوب شائع في العربية، ويفيد إنكار ثبوت حكم ما لشيء ما، وفرق بين قول:ما قام زيد،وقول: ما كان زيد ليقوم ؛ إذ الأول معناه : نفي القيام عن زيد فحسب، والثاني معناه :أن القيام ما كان ينبغي من زيد وليس من شأنه . وفي القرآن الكريم من النفي ومن نفي الشأن الكثير. ومثال النفي قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿البقرة(٦) وقوله:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴿البقرة(٨) فالآية الأولى وردت في مقام ذم الكافرين، وبيان أن سبب عدم هدايتهم هو إعراضهم وصدهم، كما كانت التقوى هي سبب اهتداء المؤمنين الوارد ذكرهم قبله. وفي الآية أعلاه إخبار مؤكد بنفي اهتداء الكافرين على وجه الاستمرار والتجديد ؛بدخول النفي على فعل الإيمان في قوله:﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾.

ثم أتبع النظم الكريم ذكر المنافقين بعد ذكر الكافرين فقال:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴿البقرة(٨) لبيان أنهم لا يختلفون عنهم سجية- أي:في عدم إيمانهم – ولكنه صرّف ذكر انتفاء الهداية فأتى بها بطريق الجملة الاسمية:﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿فأوقع التصريح على الفاعلين؛بيانا لثبات واستقرار وصفهم بعدم الإيمان.

فالنفي في الآيتين السابقتين نفي لأخبار كما يبين ظاهرها، ولا يقصد إلى معنى آخر غير النفي ،وهذا مختلف عن نفي الشأن الوارد في مثل قوله تعالى :﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿آل عمران (٧٩) ؛لأن

المعنى:» ما كان ينبغي لبشر.»(١٠) فالنفي في هذه الآية منصب على الكون أصلا ؛وليس على الحدث،أي :ما كان حاصلاً، وهذا أبلغ في النفي. كما أن نفي الشأن يطوي دليله وبرهانه أو سببه معه، فيعزز من تلك المبالغة في النفي .

وسببه أو دليله قوله:﴿أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ﴾ فكيف يؤتي الله الأنبياء الكتاب والحكم والنبوة ويدعون الناس إلى تصديقه ،ثم يقومون بدعوة الناس إلى عبادتهم من دون الله؟! فهو محل تناقض، فمن أوتي الكتاب والحكم والنبوة ؛غير حاصل ولا كائن منه ولا ينبغي لمثله دعوة الناس إلى عبادته من دون الله .

وعن تلك المبالغة قال ابن عاشور:» فلما أُريد المبالغة في النفي ؛ عدل عن نفي الفعل إلى نفي المصدر الدال على الجنس ، وجعل نفي الجنس عن الشخص بواسطة نفي الاستحقاق ؛ إذ لا طريقة لحمل اسم ذات على اسم ذات إلا بواسطة بعض الحروف ، فصار التركيب : ما كان له أن يفعل .»(١١)

والمبالغة في النفي استدعاها مقام بيان جلال قدر الأنبياء وعلو مكانهم،وبيان أن الذين اصطفاهم المولى ما يكون منهم مثل ذلك الادعاء

وغالبا يأتي نفي الشأن لإثبات قضية يجحد بها،وفي سبب نزول الآية (١٢) ما يبين تلك القضية ،وهي على الجملة تبين جحد ودفع أن يأتي نبي من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله وعدم الإشراك به ،ثم يأمر بعبادته هو من دون الله أو مع الله –كما ظن بعض أهل الكتاب– وللام الجحود أثر في دفع هذه القضية وجحدها ،فهي تعمل على تأكيد النفي،وزيادة إنكار صحة هذه القضية .

فنفي الشأن غير نفي الحدث ،نفي الشأن صيغة نفي شديدة، ومحلها قضية يُراد بيانها وجحدها؛ولذلك ينصب النفي فيها على الكون والحصول لا على الحدث ؛ لبيان استحالة حصوله وبعده فضلا عن نفيه . وسبب بلاغته حمله سببه وبرهانه بطيه ،كما وضح ذلك من الآية السابقة؛مما يجعله جحدا معللا وليس معمما .

ثانيا : علاقة نفي الشأن بالنهي :

فهم مقاصد مجيء نفي الشأن له أثر بالغ في فهم المعنى ؛خاصة إذا خرج نفي الشأن إلى معنى النهي؛ لأن له في أغلب أحواله تعلقا بأحكام وتشريعات دينية ينبغي معرفتها والتقيّد بها ،ومثاله قول الله تعالى:﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ التوبة (١٧) ومعنى الآية:» أن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به ،فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله.»(١٣)

فلما كان إعمار المشركين للمسجد الحرام معهودا ، وكان ذلك قبل الإسلام وثبات أركانه ؛كان تحريم ذلك على المشركين قضية داعية إلى النقض والجحد ،فجاء نفي الكون،ودخلت لام الجحود على لفظ:﴿لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ لغرض إنكار أن يقع من المشركين إعمار للمسجد الحرام حسيا أو معنويا، والمعنى :»ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله.» (١٤) وقصَد نفي الشأن إلى النهي عن أن يتولى المشركون عمارة المسجد الحرام، وسببه وبرهانه قوله تعالى:﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾.

وكأنه يقول: المشركون ليسوا أهلا ،وليسوا مستحقين ،وليس من شأنهم ولا لمثلهم ؛عمارة المسجد الحرام،والحال أنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، أي :وحالهم فساد معتقدهم ، لأنه جمع بين نقيضين،إذ يُعمر المسجد الحرام بعبادة الله لا بالكفر به . وقوله : ﴿شَاهِدِينَ﴾ «قيد للنفي قبله مبين لعلته ، والعلّة الحقيقة هي نفس الكفر لا الشهادة به،ونكتة تقييده بها أنه كفر صريح معترف به لا يمكن المكابرة فيه .»(١٥)

ومن نفس الباب قول الله تعالى :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿التوبة (١١٣).

فجاء نفي الكون ودخلت لام الجحود على لفظ :﴿ النَّبِيِّ ﴿ومعطوفه؛ لغرض إنكار أن يقع من النبي –صلى الله عليه وسلم – ومن المؤمنين استغفار للمشركين حتى لو كانوا أولي قربى . فكان نفي الشأن هنا دالا على معنى النهي،ويؤيده قول القرطبي : « وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا . «(١٦) وسببه وبرهانه قول الله تعالى:﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ فهو نهي للرسول والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ؛ والحال تَبَيُّن مصير المشركين ،أي :أنهم أصحاب الجحيم بسبب موتهم على الشرك وعبادة الأوثان ،وقد قضى ربهم عدم المغفرة لمشرك . ولما كانت قضية استغفار المؤمن لأولي رحمه الكافر(١٧) داعية إلى النقض والجحد ؛جاء النهي بصيغة نفي الشأن ؛مبالغة في بيان أن الاستغفار لايصدر عن مثل الرسول والمؤمنين للمشركين ، والمعنى: فما كان ينبغي ولا يصح للنبي والمؤمنين ولا من شأن أمثالهم؛ الذي يقتضيه إيمانهم بالله وبعدله أن يكون منهم طلب يخالف حكمه؛حتى لا يتساوى المؤمن بالكافر في المغفرة « فينتفي التفاضل الباعث على الرغبة في الإيمان.»(١٨)

فالنفي أدى معنى النهي وزيادة ؛إذ طلب من المؤمنين الكف عن فعل الاستغفار مع بيان العلة والسبب؛ وهي بيان أن من كان على صفة المؤمنين وشأنهم لا ينبغي منهم صدور هذا الفعل ، فهذه الزيادة لا يمكن تحققها لو كان الأمر صريحا بطلب الكف عن الفعل مثل قول :لا تستغفروا للمشركين،وهذا يرفع من قيمة النهي ويُوقع أثرا جيدا في الاستجابة والامتثال .

إذًا النفي والنهي أسلوبان شائعان في العربية ولكن نفي الشأن يؤدي معنى أبلغ من النفي ؛لأنه نفي موجه للحصول أو الكون ،وليس للحدث فقط ،وهو كذلك نفي مؤيد بالدليل أو البرهان أو السبب .

وقد يخرج نفي الشأن ليحقق معنى النهي وزيادة كما عرضنا في الآيتين السابقتين ،إذ الزيادة هي نفي الكون والحصول والشأن مما يفيد الاستبعاد والاستحالة لصدور حدث من فئة؛ نزاهة أو احتقارا ،وهو أبلغ وقعا من النهي صراحة ؛لأنه مؤيد بالدليل أو البرهان او السبب ،ولأنه أوقع للاستجابة والامتثال،كما أنه يتعلق في أغلب أوضاعه بالتشريع .

المطلب الثالث / بلاغة نفي الشأن في القرآن الكريم (مقاماته وسياقاته) :

نفي الشأن يأتي في الكلام ليحقق أغراضا بلاغية تتضح بمعرفة السياق النصي الوارد فيه، وبمعرفة المقامات التي ذُكر فيها أو الأحوال التي أحاطت به . وتختلف الأغراض التي يحققها نفي الشأن حسب السياق الوارد فيه أو لأجله،وسنعرض لبعض أغراضه الواردة في القرآن الكريم ،ومنها التالي:

ماجاء في معنى النهي :

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾البقرة(١١٤) . ذكرت هذه الآية في سياق الإخبار عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم ، وإنْ كان قد دلّ بقوله:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ على عموم كل مانع للعبادة في مساجد الله،وكل ساع في خرابها سواء في ذلك أكان المقصود من الآية المشركين أو اليهود أو النصارى .(١٩)

وأشار بقوله:﴿أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ ﴾ إلى عدم قدرة مانعي ذكر الله في المساجد من دخولها إلا على حال من الذعر والخوف أن تصيبهم عقوبة من الله ، قال ابن كثير:«هذا خبر معناه الطلب ، أي لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية» . (٢٠)

ويفهم من قول ابن كثير أن نفي الشأن هنا حقق معنى النهي عن تمكين المعتدين من دخول مساجد الله، وكأنه يقول: فلا ينبغي للمعتدين على مساجد الله دخولها ، وهم ليسوا أهلا لدخولها، ولا يصح منهم دخول إلا على حال من الذل والصغار، وتلك مبالغة في النفي أدت معني النهي عن تمكين المعتدين من دخول مساجد الله ؛استدعاها مقام قداسة كل ما ينسب إلى الله تعالى، مع بيان حقارة شأن المعتدين على مساجد الله خصوصاً وشناعة جرمهم

هذه الآية ذكرت في المعنى الكلي الأول من معاني سورة البقرة، فحينما كُثّف الكلام في أول هذا المعنى الكلي من السورة عن التقوى الحاصلة من المؤمنين ؛قوبل بتكثيف الكلام عن نقيضه من الظلم والاعتداء والفسوق الحاصل من كفار أهل الكتاب ؛لما للتقابل من أثر في بيان مخالفة بني إسرائيل لما أُمروا به . ولما كانت المعاني في سورة البقرة قائمة على تحقيق توحيد الألوهية ؛كان النهي عن دخول الكافرين مساجد الله إلا على حال من الذل والصغار أصلا عظيما في هذا

المعنى ،وكان أسلوب نفي الشأن المعرب عن النهي أنسب في هذا المقام لأنه أوقع للامتثال والاستجابة .

وشرط نفي الشأن قولة تعالى: ﴿إِلاَّ خَآئِفِينَ﴾ ومنع العبادة في مساجد الله وخرابها سبب في الحكم عليهم بالذل والصغار . وأسهم الفصل لكمال الاتصال بين قوله :﴿خَآئِفِينَ﴾ وقوله بعده :﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ حيث نزِّلت الجملة الثانية منزلة بدل اشتمال من الأولى ،إذ الخوف بعض من الخزي في الدنيا – أسهم الفصل في الوفاء بتأدية غرض الوعيد للمعتدين وتمامه ؛ والمقام يقتضي اعتناءً بشأن مساجد الله قداسة ورفعة .

هذا السياق يلقي الضوء على جانب من جوانب سوء أعمال اليهود والنصارى القائمة على الظلم والعدوان الناتجة عن ضلالهم واستكبارهم عن سماع الحق ؛ليحقق النظم الكريم القول في بيان انتفاء هدايتهم لعدم أخذهم بأسبابها من الإيمان بما جاء في التوراة والإنجيل من نبأ صدق نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم – ولنقضهم العهود المأخوذة عليهم،وهو معنى عظيم من معاني سورة البقرة ؛كان لأسلوب نفي الشأن أثره في محله من سياقه ومن المعنى الكلي الوارد فيه .

ما جاء في معنى الاستحالة

الاستبعاد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً × إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً ﴾ النساء (١٦٨-١٦٩) . وردت الآية الكريمة في سياق تسلية الرسول – صلى الله عليه وسلم – ببيان اتحاد رسالة الرسل،واشتراكهم في وظيفة الإنذار والتبشير ،وبيان أن معاناتهم مع أقوامهم واحدة ،وأن شهادة الله على عملهم هي العزة والكفاية لهم ، ومعناها : « إن الذين جحدوا رسالة محمد–صلى الله عليه وسلم– وكفروا بالله بجحود ذلك، وظلموا بمُقامهم على الكفر...لم يكن الله ليعفو عنهم ذنوبهم ؛بتركه عقوبتهم عليها ،ولكنه يفضحهم بها بعقوبته إياهم عليها.»(٢١) فجاءت الآية تبين أن الكفار ليس لهم إلا الذل والهوان،وليس لهم إلا طريق واحد يسلكونه ،يقودهم إلى جهنم لا غير .

وهذه الآية ذُكرت في المعنى الكلي الثالث من سورة النساء ؛حيث كُشف الكلام عن بيان أصل الدين وتقرير مصائر العباد حسب قربهم أو بعدهم من هذا الأصل ،فقرر أن العزة مكتسبة من الإيمان بالله،والذلة مكتسبة من الكفر به ،وأسلوب نفي الشأن عزّز هذا المعنى ؛لأن المقصود منه استحالة حصول المغفرة والهداية للكافرين ،وكأنه يقول:لا ينبغي للكافرين ولا يصح لهم مغفرة ولا هداية، وليسوا أهلا لهما ؛ إلا على حال أن تكون هداية إلى طريق جهنم لا غير . وذلك مسبب عن انتفاء إيمانهم مع ظلمهم . وتلك مبالغة في النفي؛ اقتضاها مقام الوعيد والترهيب من الكفر والصد عن سبيل الله ،فجاء نفي الكون ودخلت لام الجحود مرتين؛الأولى على الفعل:﴿يغفر﴾، والثانية على الفعل:﴿يهديهم﴾؛لإنكار إرادة حصولهما وليس لإنكار الفعلين فقط،وذلك أبلغ في النفي. ومما يعزز هذا المعنى مجيء الأفعال على صيغة المضارعة ابتداء بفعل الكون،وهذا يعني تجدد واستمرار إنكار حصول الفعلين معا .

ومن بلاغة التعبير بنفي الشأن؛ مجيئه مع برهانه الظاهر من قوله: ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً ﴾ أي: لا يكون ولا يصح ولا ينبغي أن تكون لهم هداية إلا هداية إلى طريق جهنم مقيمين فيها دون خروج .وإنما عبّر عن طريق جهنم بالهداية على سبيل التهكم والسخرية، وهو جزاء مسبب عن الكفر والظلم والصد عن سبيل الله .

وهذا المقام يلقى الضوء على جانب من جوانب معاني سورة النساء؛ وهو بيان مصائر الكافرين من الأمم السابقة،وبعدهم عن أصل الدين ؛الذي يُعتبر جزءً من بيان أن طريق العزة والكفاية بالانقياد لله تعالى ورسوله لا بالاستنكاف والمكابرة ، وهو أصل عظيم في سورة النساء حققّتْ القول فيه بعد أن أسست بناء لحمة المجتمع داخليا على أساس من التراحم والعدل بين أفراده ، والإحسان والعدل مع غيرهم ،فحصنت المؤمن داخليا وخارجيا .

ماجاء في معنى التبرئة :

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ

سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿المائدة(١١٦). هذه الآية من خواتيم سورة المائدة ،وذكرت في سياق ذكر الرسل وجمعهم يوم القيامة وسؤالهم،وذكر الحواريين وقصة طلبهم للمائدة . واُختص عيسى- عليه السلام -بالحكاية عنه وببيان الحوار بينه وبين ربه؛ لما له من تعلق بصلب مقصود السورة ،فخاطب تعالى نبيه بتوجيه سؤال عما نُسب إليه من مقول النصارى -وهو أعلم بالجواب- وجاء الاستفهام داخلا على المسند إليه دون المسند الفعلي ؛ دلالة على تحقق حصول الفعل مع الشك في الفاعل ،وهذا يعني أن القول صادر لا محالة ،ولكن الشك في قائله . والمراد التعريض بتوبيخ الكفرة على قولهم ما لا يليق عن الله تعالى وعن رسوله- عليه السلام - .

وجاء الجواب مدعما بنفي الشأن عن عيسى -عليه السلام -مسبوقا بالمصدر الدال على التنزية﴿سبحانك﴾ وعلت نبرة النفي بمجيء نفي الشأن لأن المعنى : لا ينبغي لي ،وأنا لست أهلا ،ولا يصح أن يصدر مني هذا القول فضلا عن كوني لا أستطيعه . وتلك مبالغة في النفي أدت معنى تبرئة عيسى -عليه السلام - من تلك المقولة المنسوبة إليه،وهذا مناسب لمقام إقامة الحجة على النصارى القائلين بتلك المقولة وبيان كذبهم ؛لأنه نفي مع دليله وبرهانه الكائن في قوله تعالى:﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴿أي: ليس من شأني ولا يصح مني قول ذلك حال كون الله عالما بما أعلن وما أخفي، وحال كونه محيطا بكل شيء .

وأسهم الفصل للاستئناف البياني في قوله: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَه ﴾ أسهم في تعزيز معنى تبرئة عيسى -عليه السلام -لأن جملة :﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَه ﴾ منزَّلة منزلة السبب من المسبب. كما أسهم الفصل لكمال الاتصال بين جملة: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي...﴾ والجملة قبلها في التأكيد على معنى التبرئة؛ لأنها منزَّلة منزلة التأكيد من متبوعه. ولا يخفى ما للعطف الكائن بين الجملتين في قوله تعالى:﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾من أثر في تعزيز المعنى نفسه . وترك العطف في فاصلة الآية :﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾يؤثر كذلك في تعزيز تبرئة عيسى -عليه السلام -مما نُسب إليه ؛لأنها تجري مجرى التعليل للجملة السابقة .

فلما كان النصارى يلقون التهم والأباطيل على عيسى-عليه السلام -من كونه يأمرهم بتأليهه وأمه من دون الله؛يريدون بذلك تضليل العامة ،وكانت تلك بمثابة قضية يجب جحدها -جاء نفي الشأن مبرئا عيسى -عليه السلام- مدللا على كذبهم، منكرا عليهم . ويعزز تلك المعاني مجيء الأفعال:﴿يكون- أقول﴾ بصيغة المضارعة التي تفيد استمرار نفي الشأن عن عيسى -عليه السلام- .

هذا المقام من خاتمة سورة المائدة يؤكد ما تأسس على صعيد السورة كلها ؛من بيان أن أحكام الله وتشريعاته أعظم المواثيق في كل الأديان ،وأن عظمة المواثيق تقتضي عظمة المشرّع وتفرّده بلا منازع؛لذلك فالتشريع خصيصة من خصائص الألوهية لا يجوز تعديلها ولا التدخل بها بحال من الأحوال.وأسلوب نفي الشأن في الآية جاء معززا لبيان خصائص الألوهية من تبرئة عيسى –عليه السلام- ممانُسب إليه تبرئة بولغ فيها ليتحقق الهدف المراد .

ماجاء في معنى التنزيه :

قال الله تعالى:﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ التوبة (٧٠) . ذكرت هذه الآية في سياق البراءة من المنافقين وسلكهم مع الكافرين في العذاب ، وزيادة في الترهيب ذكّرهم بأحوال السابقين من قوم نوح وعاد وثمود وإبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات بأسلوب الاستفهام التعجبي ، وعدل عن توجيه الخطاب لهم إلى المخاطب فقال:﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ ﴾ تسجيلا عليهم وإشهادا .

ومعنى قوله : ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾:» فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها، واستحقاقها من الله عظيم العقاب ؛لا ظلما من الله لهم ،ولا وضعا منه -جل ثناؤه -عقوبة في غير مَنْ هو لها أهل ...» (٢٢) فنفى

النظم الكريم عن الله تعالى الظلم بأبلغ وجه ،وهو نفي الكون مع دخول لام الجحود على الفعل وكأن التعبير: لا يصح ولا يجوز في حقه تعالى ظلم لأحد من عباده ،وليس من شأنه الظلم ، ولا ينبغي له . وتلك مبالغة في النفي بطريق نفي الشأن أدت معنى تنزيه الله عن الظلم ورفع قدره ، استدعاها مقام بيان العظة والعبرة من حال الأقوام السابقة للتسجيل عليهم ، وأسلوب نفي الشأن متلائم مع هذا المقام ؛لأنه نفي مؤيد بالدليل والبرهان وهو قوله:﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾فقد ظلموا أنفسهم بعدم الإيمان ،فكان ذلك سببا في عذابهم،وكان لتقديم المفعول:﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ أثر في إظهار وإبراز مَنْ وقع عليه ظلم الظالمين ،وفيه ترشيحٌ لنفي وقوع الظلم من الله عليهم ،وتنزيهه تعالى . ومجيء الفعلين :﴿لِيَظْلِمَهُمْ / يَظْلِمُونَ﴾ بصيغة المضارعة يدل على تجدد واستمرار نفي الظلم عن المولى تعالى ،مع تجدد واستمرار ظلم الأقوام لأنفسها بالعناد والاستكبار وعدم الإيمان.

هذا المقام يلقي الضوء على جزء من معنى عظيم حققت سورة التوبة القول فيه ،وهو بيان أعمال المنافقين التي استحقوا بها البراءة المقتضية للعذاب، ووجوب عدم موالاتهم ،وسلكهم مع الكفار في سلك واحد ، وكان قبل ذلك قد أمر بقتال مشركي العرب وأهل الكتاب صراحة ،وأبان عن الأسباب التي استحقوا بها العذاب ،فحقق أسلوب نفي الشأن معنى تنزيه الله عن ظلم المبرَّأ منهم في هذه السورة ببيان استحقاقهم للعذاب بظلمهم أنفسهم بالعناد والاستكبار .

هذه نظرة على بعض الأغراض البلاغية التي يحققها أسلوب نفي الشأن في القرآن الكريم،وأغراضه كثيرة تسترعي تليط الضوء عليها ،وللسياق المقامي والخطابي أثر في بيان بلاغة أسلوب نفي الشأن الذي يحقق فهم مقاصد القرآن الواردة في سياقه .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الأمة وداعيها وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد... فتندرج دراسة أسلوب نفي الشأن ضمن دراسات الخطاب القرآني الذي يبين مقامات الخطاب بنفي الشأن وأغراضه البلاغية التي يحققها ؛ وجاءت الدراسة معتمدة المنهج البلاغي البياني .وحُصرت في ثلاثة مطالب، الأول: تأصيل مفهوم الشأن . الثاني :علاقة نفي الشأن بالنفي والنهي . الثالث :بلاغة نفي الشأن في القرآن الكريم (مقاماته وسياقاته) . وخلصت الدراسة إلى مايلي :

- أسلوب نفي الشأن من محاسن الكلام ،وينبني على فهمه معانٍ عظيمة ،وهو صورة من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر،وصورة من صور إخراج الكلام المطلق في صورة المقيد .
- أسلوب نفي الشأن يختلف عن النفي بمعناه العام ،فنفي الشأن صيغة شديدة للنفي ،ومحلها قضية يراد جحدها وبيانها. ومن وجه آخر فإن للنفي تعلقا بالنهي حيث يخرج في بعض حالاته لقصد معنى النهي،ولكنه يختلف عن النهي صراحة في كونه أوقع أثرا للاستجابة والامتثال بما يحققه من تنزيه أو احتقار .
- فهم مقاصد مجيء أسلوب نفي الشأن له أثر في فهم المعنى ومعرفة أقدار الخطاب والمخاطبين ؛خاصة إذا خرج نفي الشأن إلى معنى النهي ؛لأن فيه تعلقا بأحكام وتشريعات دينية .
- يُصب النفي على الكون والحصول في أسلوب نفي الشأن ؛لبيان استحالة حصوله وبعده،مع نفي المعنى الوارد في سياقه ،ويُساق هذا الأسلوب لنفي أمر ذي بال ،ولجحد قضية يراد بيانها .
- بلاغة أسلوب نفي الشأن تكمن في حمله سببه وبرهانه بطيه ،وفي تحقيقه أغراض بلاغية أخرى تختلف باختلاف سياقها منها :النهي والاستبعاد والاستحالة والتبرئة والتنزيه والتحقير،وغيرها كثير .
- للجهود التفسيرية أثر واضح في الإشارة إلى أسلوب نفي الشأن أو تحليله ؛مما يسهم في تطور البلاغة القرآنية خاصة.

هذه بذرة لدراسة أسلوب نفي الشأن في القرآن الكريم ،وتوصي الباحثة بحصر أساليب نفي الشأن في القرآن الكريم كله؛لاستكمال بيان سياقاته ومقاماته وأغراضه البلاغية

التي حققها؛لما يحققه هذا الأسلوب من أثر في فهم مقاصد القرآن الكريم

الهوامش

(١) قال تعالى:﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ ...﴿يونس (٦١). وقال:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ... فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ﴾ النور (٦٢).وقال:﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿الرحمن(٢٩).وقال :﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ عبس (٣٧).

(٢) ينظر الطبري .محمد بن جرير بن يزيد بن خالد .جامع البيان عن تأويل آي القرآن . بيروت . دار الفكر. بدون ط . ١٤٠٥هـ . ١٢٨/١- ١٧٧/١٨- ١٣٥/١٢٧ – ٥٩/٣٠ .

(٣) البخاري.محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.صحيح البخاري . اليمامة/بيروت .ابن كثير. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.المحدث :(أبو الدرداء) كتاب :(التفسير).باب:(تفسير سورة الرحمن) ١٨٤٧/٤رقم الحديث:(٤٥٩٧). تحقيق:د.مصطفى ديب البغا.

(٤) البخاري.صحيح البخاري (مرجع سابق).المحدث:(ابن عباس). كتاب:(التفسير) .باب قوله:﴿ ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ﴿ رقم الحديث:(٤٤٧٠) . ١٧٧٢/٤.

(٥) العسقلاني.الحافظ ابن حجر أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري . دار المعرفة. بيروت- لبنان . بدون ت. بدون ط . ٣٧٢/١ . قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا وأشرف على مقابلة نسخه:عبد العزيز بن باز . رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه:محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وأشرف على طبعه:محب الدين الخطيب .

(٦) ينظر الفراهيدي.أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد .كتاب العين . دار ومكتبة الهلال . بدون ط .بدون ت. تحقيق:مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي . وينظر الأزهري .أبو منصور محمد بن أحمد .تهذيب اللغة .دار إحياء التراث العربي- بيروت . ط١. ٢٠٠١م. تحقيق : محمد عوض مرعب .

(٧) الجوهري. إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية. دار العلم للملايين- بيروت .ط٤ .يناير ١٩٩٠.

(٨) ابن فارس .أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا .معجم مقاييس اللغة . دار الفكر . بدون ط .بدون ت . تحقيق وضبط :عبد السلام هارون.

(٩) الزركشي.بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن . دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان . بدون ط . ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م . ٤٦٦/٣ . خرج حديثه وقدم له وعلق عليه:مصطفى عبد القادر عطا.

(١٠) الطبري .جامع البيان عن تأويل أي القرآن(مرجع سابق) ٣٢٥/٣ . ومثله عند القرطبي .أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن. دار عالم الكتب- الرياض/ المملكة العربية السعودية . بدون ط . ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م. ٤ /١٢١. تحقيق : هشام سمير البخاري .

(١١) ابن عاشور .محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير .دار سحنون- تونس . بدون ط . بدون ت . ٣ /٢٩٣ .

(١٢) «قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم -ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو أن نأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني . أو كما قال -صلى الله عليه وسلم -فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما:﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة﴿ إلى قوله:﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴿»(شاكر.أحمد محمد .عمدة التفسير من تفسير ابن كثير.دار الوفاء.ط٢. ١٤٢٦هـ. المحدث :عبد الله بن عباس ١ /٣٨٥).

(١٣) الطبري . جامع البيان عن تأويل آي

القرآن (مرجع سابق)١٠/٩٣ .

(١٤) المرجع السابق ١٠/٩٣ .

(١٥)رضا .محمد رشيد بن علي. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار).الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٩٩٠ م١٠/١٨٨.

(١٦) القرطبي .الجامع لأحكام القرآن(مرجع سابق) ٨/٢٢٠.

(١٧) عن سَعِيدِ بن الْمُسَيَّبِ عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دخل عليه النبي -صلى الله عليه وسلم - وَعِنْدَهُ أبو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بن أبي أُمَيَّةَ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: أَيْ عَمِّ ، قُلْ لَا إِلَهَ إلا الله ؛أُحَاجُّ لك بها عِنْدَ اللَّهِ .فقال أبو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بن أبي أُمَيَّةَ :يا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبد الْمُطَّلِبِ؟! فقال النبي- صلى الله عليه وسلم -لَأَسْتَغْفِرَنَّ لك مالم أُنْهَ عَنْكَ .فَنَزَلَتْ:﴿ما كان للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...﴾ البخاري. صحيح البخاري(مرجع سابق) المحدث:سعيد بن المسيب. كتاب :(التفسير)باب قوله تعالى: ﴿ما كان للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴿٤/ ١٧١٧ .

(١٨) ابن عاشور . التحرير والتنوير(مرجع سابق) ١١/٤٤ .

(١٩) ينظر الطبري. جامع البيان عن تأويل أي القرآن ١/٤٩٨ ومابعدها

(٢٠) ابن كثير . إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي أبو الفداء.تفسير القرآن العظيم .دار الفكر. بدون ط . ١٤٠١هـ . ١ / ١٥٧ .

(٢١) الطبري .جامع البيان عن تأويل آي القرآن (مرجع سابق) ٦/٣٢ .

(٢٢)الطبري . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ١٠/١٧٧

المصادر والمراجع

- ابن عاشور .محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير .دار سحنون- تونس. بدون طبعة . بدون تاريخ .
- ابن فارس .أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا .معجم مقاييس اللغة . دار الفكر. بدون طبعة. بدون تاريخ. تحقيق وضبط :عبد السلام هارون .
- ابن كثير .إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم .دار الفكر. بدون طبعة . ١٤٠١هـ .
- الأزهري.أبو منصور محمد بن أحمد .تهذيب اللغة . دار إحياء التراث العربي- بيروت . الطبعة الأولى. ٢٠٠١م . تحقيق : محمد عوض مرعب .
- البخاري.محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.صحيح البخاري . اليمامة/بيروت- ابن كثير. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. تحقيق:د. مصطفى ديب البغا.
- الجوهري. إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية. دار العلم للملايين- بيروت .بدون طبعة.بدون تاريخ .
- رضا .محمد رشيد بن علي .تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) .الهيئة المصرية العامة للكتاب . بدون طبعة .١٩٩٠م .
- الزركشي.بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن . دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان. بدون طبعة . ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م . خرج حديثه وقدم له وعلق عليه:مصطفى عبد القادر عطا.
- شاكر.أحمد محمد .عمدة التفسير من تفسير ابن كثير.دار الوفاء. الطبعة الثانية . ١٤٢٦هـ .
- الطبري .محمد بن جرير بن يزيد بن خالد .جامع البيان عن تأويل آي القرآن . بيروت/ دار الفكر. بدون طبعة . ١٤٠٥هـ .
- العسقلاني.الحافظ ابن حجر أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري . دار المعرفة. بيروت-لبنان .بدون تاريخ. بدون طبعة. قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا وأشرف على مقابلة نسخه:عبدالعزيز بن باز. رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه:محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وأشرف على طبعه:محب الدين الخطيب .
- الفراهيدي. أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد .كتاب العين.دار ومكتبة الهلال. الطبعة الرابعة .يناير ١٩٩٠. تحقيق :مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي .
- القرطبي .أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن. دار عالم الكتب- الرياض/ المملكة العربية السعودية . بدون طبعة . ١٤٢٣ ه- ٢٠٠٣م . تحقيق :هشام سمير البخاري .